أسلـــــوب الحـــــذف وأداءاتـــه الدلالـــية
سورة البقرة نموذجـــا

أ.محمد بوادي
جامعة سطيف

ملخـــص :

يعد الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها الكثير من اللغات الإنسانية، وتبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحا، و نحن نرى أن ثبات هذه الظاهرة في اللغة العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصيلة من ميل إلى الإيجاز والاكتفاء بقليل الكلام الدال على كثير.

وينتج الحذف في العربية عن أسباب كثيرة منها ما يعرف عند علماء الدرس اللغوي بكثرة الاستعمال، وإيثار الإيجاز، وضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب التوسع. وقد تكرر ورود هذا الأسلوب في القرآن الكريم و أخذ أشكالا عدة وصورا مختلفة باختلاف المقامات، ومقاصد الكلام.

Résume :

l'omission est un phénomène langagier commun à plusieurs langues humaines. Ses aspects apparaissent plus clairement dans quelques langues. Nous constatons que la présence dans la langue arabe est plus claire et dépasse les autres langues, due à l'originalité de ses caractéristiques innées, comme le penchement à l'abréviation est donné à la qualité et non à la quantité des paroles.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله صحبه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين وبعد يعد الحذف ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها المرسل في كلامه لأغراض كثيرة حددهـا الدرس اللغوي فهو من دقائق اللغة وعجيب سرها وبديع أساليبها، دلك أننا نرى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا نحن حذفنا أحد ركني الجملة، أو شيأ من

متعلقاتها، فان نحن قدرنا المحذوف، وأبرزناه صار الكلام إلى غث سفساف ونازل ركيك، لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولا، وقد وصفه – الحذف – الإمام عبد القاهر الجر جاني في كتابه دلائل الإعجاز بقوله : "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن مثال دلك ما قيل في تحليل قوله تعالى : " فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور، أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت..."،[2] إذ قدروا كلاما محذوفا مفاده أي كدوران عين الذي.. وتحليلهم لقوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا"[3]أي لا تجزي فيه، ثم حذفت (في) فصار (لا تجزيه) ثم حذف الضمير منصوبا لا مخفوضا هذا قول الأخفش وعن سيبويه أنهما حذفا دفعة ... وقال أكثر أهل العربية منهم سيبويه والأخفش يجوز الأمران[4].

ويتضح من تراكيب الآيات الكريمة السابقة أن الظاهر فيها يرد إلى التركيب المقدر وفقا لمعطيات المعنى في المواضعات المتعارفة – كما في التركيبين الأول والثاني –أو لمقتضى المعنى ونواميس العربية كما في التركيب الثالث.

و قد تحدث القدماء في كتبهم ومصنفاتهم عن أسلوب الحذف، فقد ذكره أبو الفتح عثمان بن جني (322– 392ه) في كتابه الخصائص، تحت عنوان : " شجاعة العربية"، مفصلا أشكاله، شارحا أضربه، ممثلا لكل شكل بأمثلة من كلام العرب [5]. كما ذكره عبد القاهر الجر جاني في كتابه دلائل الإعجاز، واصفا إياه بأنه باب دقيق المسلك ...الخ، وقد سبق ذكر ذلك وبيانه.

أما من فصل فيه من القدماء وبسط القول فيه فهو ابن هشام الأنصاري في كتابه" مغني اللبيب"، حين ذكر الكثير من صوره، ممثلا لذلك بشواهد من القرآن

الكريم، كما أفرد قسما خاصا نبه فيه إلى ضربين من الحذف، حذف يلزم النحوي، وحذف يلزم المفسر و البياني.

والذي يلزم النحوي هو "ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرا بدون مبتدأ أو العكس، أو شرطا بدون جزاء أو العكس، أو معطوفا بدون معطوف عليه، أو معمولا بدون عامل، نحو: " ليقولن: الله" و نحو: " قالوا خيرا"، و نحو: " خير، عافاك الله"[(6)].

وقد عمد بعض الدارسين المحدثين إلى دراسة ظاهرة الحذف الدرس اللغوي العربي، جامعين ما ورد منثورا في كتب الأقدمين، محاولين التنظير لهذه الظاهرة اللغوية المتميزة، وضبط قواعدها، و تفصيل ضوابطها، وبيان شروطها وفوائدها، مثلما هو الحال عند كل من الأستاذ طاهر سليمان حمودة في كتابه" ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي"، فقد وقف على أبعاد الظاهرة عند القدماء، مبينا كبير اهتمام المحدثين بها. وعند الأستاذ إبراهيم عبد الله رفيدة في كتابه" الحذف في الأساليب العربية"، وقد اعتمد الطريقة نفسها في جمع مادة مؤلفه؛ حيث عمد إلى جمع ما تناثر من أقوال القدماء عن ظاهرة الحذف في مؤلفاتهم.

ولا نقصد من دراستنا هذه التنظير لظاهرة الحذف وجمع أحكامه، إنما نريد الكشف عن دلالات الحذف المختلفة، وبيان أثرها في أداء المعاني المقصودة من قبل المتكلم عندما يحذف في كلامه بعض العناصر، محاولين في ذلك الجمع بين الدراسة البلاغية للحذف، والدراسة النحوية، لما للدراستين من وثيق صلة بالمعنى والدلالة، فهي دراسة تطبيقية أكثر منها نظرية.

وقد اخترت سورة البقرة مدونة للموضوع؛ ذلك أن القرآن الكريم كان ولا يزال أفضل مجال للدراسات اللغوية، على اختلاف مقاصدها، وتنوع مناهجها.

الحذف ظاهرة لغوية بلاغية : لا شك في أن الحذف ظاهرة لغوية وثيقة الصلة بقضايا اللغة في حال الإفراد والتركيب ؛ ذلك أن عادة العرب أنهم إلى الإيجاز

أميل، وعن الإكثار والإطناب أبعد، والإيجاز أحد طرق الحذف، فقد جاء الحذف في تراكيب العرب حيث كان أبلغ، و ذكر المحذوف عبثا يتنزه عنه البليغ، أو إطنابا يأباه الذوق السليم؛ لأن المعنى يفهم من دونه، والمقام يدل على المحذوف، فكان ذكره تكرارا لموجود، وإعادة لمذكور.

وقد أكد علماء العربية الأوائل على أن كثرة استعمال المحذوف، ودورانه في كلام العرب، وعلم المخاطب به هو المسوغ الحقيقي لحذفه وترك ذكره [7]. كما يقررعبد القاهر الجرجاني أن الحذف عند العرب لا يكون إلا بدليل حالي أو مقالي[8].إذا فالتعليل بكثرة الاستعمال، وعلم المخاطب بالمحذوف هما المسوغان المحققان لبلاغة استعمال أسلوب الحذف، فمن أسرار حسنه ورفعة بلاغته أنه متى أظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من المتعة والطلاوة.

شروط الحذف في العربية :

إن أسلوب الحذف يدل دلالة قاطعة على أن اللغة العربية لغة حكمة وقصد؛ فالحذف ليس فعلا عبثيا، بل أسلوب لغوي له شروطه ومقاصده اللغوية والبلاغية حددها النحاة الأوائل، مثلما هو الحال عند ابن هشام الأنصاري، والذي جعلها ثمانية، نذكرها مرتبة في الآتي :

ضرورة وجود دليل حالي أو مقالي يدل على المحذوف؛ إذ لا حذف بدون قرينة.

ألا يكون ما يحذف أصلا.

ألا يكون ما يحذف مؤكدا.

ألا يؤدي إلى اختصار المختصر.

ألا يكون عاملا ضعيفا.

ألا يكون عوضا عن شيء.

ألا يؤدي الحذف إلى تقوية العامل الضعيف مع إمكانية إعمال العامل القوي.

ألا يؤدي الحذف إلى تهيئة العامل للعمل و قطعه عنه[9].

هذه هي أهم شروط الحذف التي أقرها النحاة، إلا أن شرط وجود الدليل على المحذوف هو أهم الشروط؛ اذ لا حذف بدون قرينة، وإلا صار الحذف ألغازا وتعمية.

أضرب الحذف و مستوياته :

ينقسم الحذف بحسب إمكانية ظهوره في الكلام من عدمها إلى ضربين :

- ضرب يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولنا : أهلا وسهلا، فان نصب لفظتي أهلا وسهلا يدل على ناصب محذوف يقدر بـــ : حللت أهلا ونزلت مكانا سهلا، ويؤدي هذا الضرب من الحذف فائدة الإيجاز، يحقق الاقتصاد اللغوي.

- ضرب لا يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، وإنما يعلم مكانه أثناء تصفح المعنى، فيعلم أنه لا يتم إلا إذا روعي ذلك المحذوف، نحو قولنا: فلان بيده الحل والعقد،أو يحل و يعقد، إذ من البين أن المعنى المقصود هو: يحل الأمور ويعقدها، ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، فلو أظهرناه لزالت المتعة في التعبير، وضاع جمال التعبير.

أما مستويات الحذف فـــقد تتراوح بين الوجوب والمنع والجواز، وتشمل في ذلك .حذف الاسم، وحذف الفعل، و حذف الحرف، وحتى حذف الحركة.

إشكالية التقدير و اختلاف النحاة :

يمثل موضوع تقدير المحذوف إشكالية كبيرة بين النحاة، ممات جعلهم ينقسمون حولها إلى مذهبين، مذهب جمهور النحاة، ومذهب ابن مضاء الأندلسي، النحوي الظاهري، فمذهب الجمهور يقول بتقدير المحذوف، وهذا محل اتفاق بينهم؛ لأن التسليم بوجود الحذف يقتضي تبعا التسليم بتقدير المحذوف، ومرد ذلك إلى إقرارهم بأن الحذف والتقدير خاصيتان مميزتان للـــغة العربية، نابعتـــان من

استعمال العرب. وأمهات كتب النحو- بدأ من كتاب سيبويه-حافلة بأمثلة الحذف، تقديرات كل محذوف[10].

ولم يترك النحاة مسألة التقدير مطلقة، دون قيد أو شرط، بل وضعوا له - التقدير- ضوابط تحكمه، من أجل ضمان صحة استعماله، وتحقيقه لأغراضه اللغوية و الدلالية والبلاغية، وأهم هذه الضوابط :

1- القيـــاس : ويقصد به أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي، لئلا يخالف الأصل.

2- ينبغي تقليل مقدار المقدر ما أمكن؛ لتقل مخالفة الأصل.

3- ينبغي أن يكون المحذوف من لفظ المـــذكور ما أمكـــن.

4- إذا كان المحذوف رابطا مضمرا، أو جارا و مجرور، أو أسماء موصولة أو موصوفة وصفة مضافة، فالحذف لا يتم دفعة واحـــدة، بل على التدريج.

5- إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ أو كونه خبرا، فالأولى كونه مبتدأ لأن الخبر محط الفائدة.

6- إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى[11] ؛ لأن الحذف تصرف، و التصرف في الإعجاز أحسن وأولى.

أما مذهب ابن مضاء الأندلسي في التقدير فيقوم على أساس إنكاره لنظرية العامل في النحو العربي، و نفيه لها، ومن ذلك نفي كل ما يترتب عنها من إعراب، أو تغير أحوال أواخر الكلمات، وعلى هذا الأساس ينكر ابن مضاء موضوع التقدير؛ لأنه أنكر الأصل وهو علة وجوده ألا وهو العامل، فليس من المنطق عنده أن نقول بالحذف والتقدير، إذ كيف لنا أن نقدر (لا محذوف)، إضافة إلى ذلك فان ابن مضاء أحد أشهر أعلام المذهب الظـــاهري الذي يقوم في تفسيراته على ظاهر النصوص، و ينفر من التقدير والتأويل[12].

صور الحذف و دلالاته في سورة البقرة :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
17	... صم بكم عمي فهم لا يرجعون	هم صم بكم ....
18	أو...كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد	مثلهم كمثل صيب
21	...الذي جعل لكم الأرض فراشا و السماء بناء	هو الذي جعل
26	...الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه	هم الذين ينقضون
45	...الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم	هم الذين يظنون
57	وادخلوا الباب سجدا وقولوا ... حطة	سؤالنا حطة
89	بئسما اشتروا به أنفسهم...أن يكفروا بما أنزل	هو أن يكفروا
146	.... الحق من ربكم فلا تكونن من الممترين	هو الحق من ربكم
153	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله...أموات بل	هم أموات
176	و...الموفون بعدهم اذا عاهدوا	هم الموفون
184	...شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	هي شهر رمضان
201	فمن تعجل في يومين فلا أثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ...لمن اتقى واتقوا الله	جواز التعجيل والتأخير لمن اتقى
204	فحسبه جهنم و لبيس المهاد....	لبيس المهاد جهنم
207	إن تبدوا الصدقات فنعما هي...	الصدقة
281	فان لم يكونا رجلين ...فرجل وامرأتان ممن	فالمستشهد رجل
282	وان كنتم على سفر و لم تجدوا كاتبا...فرهان مقبوضة	فالتوثيق أو الوثيقة رهان

لقد أخذ الحذف في سورة البقرة أشكالا وصورا عدة، نرصدها بالدراسة والتحليل، مع توضيح بعض دلالاتها في ما يلي :

1- **حذف المبتدأ لدلالة السياق عليه** : و هي ظاهرة أسلوبية تصادفنا كثيرا في النصوص القرآنية و الشعرية ويرد على صور عدة، وفي مواضع مختلف، وقد ورد في ستة عشر موضعا من سورة البقرة، نوردها في الآتي :

- قال تعالى : " صم بكم عمي فهم لا يرجعون" البقرة 17، (فقوله(هم) في محل رفع خبر ابتداء محذوف تقديره، أي : (هم) صم بكم، فقد قرء بالرفع على الاستئناف لما فيه من الذم، فكل من "صم. بكم عمي فهم لا يرجعون" أخبار لمبتدإ محذوف هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير مثلهم، وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع في كلام العرب إذا ذكروا موصوفا بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع[13]، وقد سمى السكاكي هذا الحذف :" الحذف الذي اتبع فيه الاستعمال الوارد على تركه"[14].

- قال تعالى : "أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد برق..." البقرة 18، فـ(صيب) خبر مرفوع لابتداء محذوف تقديره (مثلهم كمثل صيب)، وقد جاء (أو كصيب) مردودا على "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" البقرة 16، أو كمثل صيب، فاستغني بذكر الذي استوقد نارا فطرح ما كان ينبغي أن يكون مع الصيب من الأسماء، ودل عليه المعنى[15]. فقد حذف المثل واكتفى بدلالة ما مضى من الكلام طلبا للإيجاز و الاختصار.

- قال تعالى : "وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين"البقرة 57، فقوله : (حطة) بالرفع على أنها خبر لمبتدإ محذوف، أي سؤالنا حطة، يقول الزمخشري: "وهي خبر لمبتدإ محذوف أي مسألتنا حطة وأمرك حطة ... وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقولك:صبر جميل فكلانا مبتلا"[16]، فالمبتدأ في مثل

هذا الوضع محذوف وجوبا، لأن الخبر مصدر نائب عن فعله والأصل فيه النصب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبا أيضا، ثم عدل به إلى الرفع لتعطي الجملة معنى الثبات.

- قال تعالى: "بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده"البقرة 89، قوله: "أن يكفروا" المصدر المؤول من (أن)، والفعل المضارع (يكفروا) مخصوص بالذم في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هو)، أي : هو أن يكفروا. وقد حذف المبتدأ هنا لدلالة السياق عليه.

- قوله تعالى: " الحق من ربكم فلا تكوننّ من الممترين" البقرة146، قوله "الحق" خبر مرفوع لمبتدأ محذوف تقديره (ماكتموه أو ما عرفوه الحق)[17]، وحذف المبتدإ في مثل هذا الموضع مما جرى على متابعة الاستعمال في حذف المسند إليه بعد جريان ما يدل عليه.

- قال تعالى: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان"البقرة 185، قوله "شهر رمضان)، استئناف لقوله:"أيام معدودات"، ومنه فإن (شهر) مرفوع على أنه خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هي أي الأيام المعدودات)، وحذف المسند إليه في هذا جار على طريقة الاستعمال في المسند إليه إذا تقدم من الكلام ما فيه تفصيل و تبيين لأحوال المسند إليه فهم يحذفون ضميره[18].

يتبن لنا مما تقدم أن المبتدإ في كل الأمثلة المذكورة آنفا يعود في كلها على غائب مفردا كان أم جمعا، مذكرا أم مؤنثا؛ ذلك لقيام الدلائل والقرائن اللفظية والمعنوية عليه في السياق، فذكره بعد حينئذ عبث في الظاهر، وإلاّ فالعبث في ذكره على الحقيقة؛ لأنه أحد ركني عملية الإسناد.

2- حذف الخبر لدلالة السياق عليه : وهو ظاهرة أسلوبية يكثر ورودها في كلام العرب للأغراض ألآتية: متى كان ذكر المسند إليه بحال يعرف منه المسند، وتعلق بتركه غرض، إما اتباع الاستعمال، وإما قصد الاختصار والاحتراز عن العبث[19]. و قد تكرر وروده في سورة البقرة خمس مرات، نرصدها في الآتي مع تحليل بعضها :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
63	فلولا فضل الله... عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين	حاضر
139	قل أأنتم أعلم أم الله....	أعلم
138	أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر... فعدةمن أيام أخر	عليه
235	وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة... فنصف ما فرضتم	عليكم
279	وإن كان ذو عسرة....فنظرة إلى ميسرة	عليكم

- قال تعالى : "ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم و رحمته لكنتم من الخاسرين"البقرة 63، فقوله "فضل الله" مبتدأ خبره محذوف، لقيام العلم به، تقديره (حاضر)، أي: لولا فضل الله حاضر.؟

- قال تعالى: " أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل آنتم أعلم أم الله"البقرة 139، قوله :"أم الله" مبتدأ خبره محذوف للعلم به تقديره (أعلم).

- قال تعالى: "وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أ يعفو الذي بيده عقدة النكاح" البقرة235، فقوله "نصف" بالرفع مبتدأ خبره محذوف إيجازا واكتفاء بذكر المسند إليه، لظهور المعنى، والتقدير: (عليكم)، أي فعليكم نصف ما فرضتم لهن، أو فالواجب

نصف. يمثل الخبر المحذوف في هذه التراكيب السابقة ركن المسند في العملية الإسنادية، ويعود حذفه لغرض رئيس هو الدلالة على الاختصاص، ففي الآية الأولى الخبر المحذوف (حاضر) العائد على المبتدأ الظاهر (فضل) أفاد الاختصاص، أي: أن الله يختص بالفضل الكامل غير المتناهي، ودل الخبر المحذوف ف الآية الثانية (أعم) على الاختصاص كذلك؛ اختصاص الله تعالى بالعلم الواسع، بقرينة شهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ.

3- حذف الموصوف لدلالة الصفة النسبة عليه :

ومثل هذا الحذف فتح الباب واسعا أمام تأويلات عديدة لاسيما في تفسير معاني الآيات في السورة، وقد تكرر وروده سبعة مرات، نرصدها مشروح في الآتـــــي :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
03	والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك و... بالآخرة هم يوقنون	الدار أو اليوم
12	وإذا قيل لهم آمنوا كما... آمن الناس قالوا أنومن كما آمن	إيمانا
34	وقلنا يا آدم أسكن أنت زوجك الجنة وكلا منها ...رغدا	أكلا
72	فقلنا اضربوه ببعضها ....كذلك يحي الله الموتى	إحياء
82	و قولوا للناس ...حسنا و أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	قولا
107	أم تريدون أن تسألوا رسولكم... كما سئل موسى من قبل	سؤالا
112	و قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب... كذلك قال الذين لا يعلمون	قولا
136	فإن آمنوا... بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما	إيمانا
164	ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداد يحبونهم... كحب الله	حبا

193	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه .. بمثل ما اعتدى عليكم	اعتداء
263	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى...كالذي ينفق ماله رئاء الناس	إبطال
281	ولا ياب كاتب أن يكتب... كما علمه الله فليكتب وليملل الذي	كتابة

– قال تعالى: "و الذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يقنون" البقرة03، قوله :" الآخرة" صفة لموصوف مؤنث اللفظ محذوف لكثرة استعماله، وصيرورته معلوما، تقديره : وبالدار الآخرة، كما قال تعالى في موضع آخر: "و للدّار الآخرة خير".

– قال تعالى: "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنومن كما آمن السفهاء ألا هم السفهاء ولكن لا يعلمون"البقرة 12 ،قوله (كما آمن الناس) الكاف في موضع نصب صفة لمصدر (موصوف) هو معمول لآمنوا محذوف استغناء عنه بالتشبيه في قوله"كما آمن الناس"، أو لأنه معلوم لدى السامعين. ومثله قوله : "كما آمن السفهاء".

– قال تعالى:" قلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"البقرة34، قوله : (رغدا) وصف لمصدر موصوف محذوف دل عليه السياق، تقديره ('أكلا)، أي أكلا رغدا، أي طيبًا هنيئا[20].

– قال تعالى: "...و قولوا للناس حسنا أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلاّ قليلا منكم و أنتم معرضون"البقرة 82، قوله (حسنا) مصدر صفة دال على حذف عامل المصدر، لأنه تبطل به فائدة التأكيد الحاصلة من التكرار، فلا حاجة إلى ذكره، تقديره (قولا) أي : قولا حسنا.

4- حذف المضاف لدلالة السياق عليه :

كثيرة هي هذه الظاهرة في كلام العرب، إلاّ أن النحاة اختلفوا في صيغة التقدير، فإذا احتيج الكلام إلى حذف مضاف فيمكن تقديره مع أول الجزأين، أو مع

ثانيهما، وتقديره مع الثاني أولى، نحو: "الحج أشهر معلومات"[21]، ونحو: "ولكن البر من آمن"[22]، فيكون التقدير: الحج حج أشهر، و البر بر من آمن، أولى من أن يقدر: أشهر الحج أشهر،و لكن ذا البر من آمن. لا شك في الأول قدرت عند الحاجة إلى التقدير، ولأن الحذف من آخر الجملة الأولى[23].

ومثل هذا الحذف نجده كثيرا في السورة، إذ تكرر وروده في إثنى عشرة موضعا، نرصدها في الآتي :

رقم الآية	موضع التقدير	التقدير
50	و إذ واعدنا موسى... أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل	إتمام
92	قالوا سمعنا و عصينا و أشربوا في قلوبهم... العجل	حب
101	واتبعوا ما تتلوا الشياطين على... ملك سليمان	زمن
104	والله يختص برمته من يشاء... والله واسع عليم	اختصاصه
109	وما تقدموا لأنفسكم تجدوه ... عند الله	ثوابه
132	إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي	موتي
157	إن... الصفا و المروة من شعائر الله	طواف
170	و مثل... الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع	داعي
176	و لكن البر... من آمن بالله و اليوم الآخر	بر
183	فمن كان منكم مريضا أو على سفر... فعدة من أيام أخر	صوم
196	الحج أشهر... معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث	حج
260	مثل... الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت	إنفاق

– قال تعالى :" وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون"البقرة50، ففي الآية حذف مضاف تقديره : إتمام أربعين ليلة، فليس (أربعين) ظرفا؛ إذ ليس المعنى : واعده في الأربعين. وقد حذف المضاف هنا لقصد الإيجاز البديع، فهذا الكلام مسوق للتذكير لا للإخبار والتذكير يكتفى فيه بأقل إشارة[24].

– قال تعالى : "قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بيسما يامركم به إيمانكم إن كنتم مومنين"البقرة 92، في الآية مضاف محذوف تقديره(حب)، أي : وأشربوا في قلوبهم حب العجل، فتقدير المضاف يبين المعنى المقصود، لأن ما يشربه القلب المحبة لا نفس العجل.ة ظ

– قال تعالى :" واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا"البقرة101، في قوله:"ملك سليمان"مضاف محذوف تقديره(زمن)، أي : زمن ملك سليمان، فحذف المضاف، والمعنى في زمن، لأن المراد بالملك هنا مدة الملك أو سبب الملك بقرينة أن التلاوة لا تتعلق بنفس، الملك وحذف المضاف مع ما يدل على تعيين الوقت شائع في كلام العرب كقولهم : وقع هذا في حياة رسول الله أو في خلافة عمر بن الخطاب[25].

– قال تعالى : "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون"البقرة 170، في الكلام حذف مضاف تقديره (داعي)، أي: ومثل داعي الذين كفروا، أي مثل داعيهم إلى الهدى كمثل الناعق بالغنم.

5– حذف الفعل لدلالة معموله عليه :

ورد في السورة في ثمانية مواضع، نورده في الآتي :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
31	قالوا... سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا	سبحنا
62	وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور...خذوا ما آتيناكم	قلنا
84	ثم أنتم... هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرون فريقا منكم	أني
102	ولو... أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير	وقع

135	و...من كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار	ارزق
217	و يسألونك ماذا ينفقون قل...العفو كذلك يبين الله لكم	ينفقون
241	فقال لهم الله موتوا...فأحيهم	فماتوا
258	فأماته الله ...مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت	لبث

– قال تعالى :" وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطـــره إلى عذاب النار وبيس المصير"البقرة135، قوله (من كفر) موضعه النصب بفعل محذوف تقديره(ارزق)، أي : وارزق من كفر، وقد حذف الفعل لدلالة الكلام عليه.

– قال تعالى :" ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم"البقرة241، قوله (أحياء) معطوف على فعل محذوف دل عليه الفعل العطف عليه، تقديره : فماتوا، أي فماتوا ثم أحياهم.

– قوله تعالى: "أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم"البقرة258، فقوله (مائة عام) ظرف لفعل محذوف تقديره (لبث) أي : فأماته فلبث مائة عام، و يدل على ذلك الفعل المحـــذوف قولـــه (كم لبثت).

5– حذف المفعول به أو أحد المفعولين :

"إذا كان الفعل متعديا إلى أكثر من مفعول، وقد ورد في واحد وعشرين موضعا من السورة، نذكرها مع تحليل بعضها في الآتي :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
02	و مما رزقناهم ... ينفقون	إياه
50	ثم اتخذتم العجل... من بعده و أنتم ظالمون	إله
56	وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا..من طيبات ما رزقناكم	شيئا
60	فادع لنا ربك يخرج لنا... مما تنبت الأرض	شيئا

69	و إنا إنشاء... الله لمهتدون	هدايتنا
89	أن ينزل الله... من فضله على من يشاء من عباده	شيئا
105	ما ننسخ من آية أو ننسها... نات بخير منها أو مثلها	ننسكها
123	قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي...	ففريقا، إماما،
131	و أوصى بها إبراهيم بنيه...و يعقوب	أوصى
163	و بث فيها... من كل دابة وتصريف الرياح	دواب
218	و لو شاء الله...لأعنتكم إن الله عزيز حكيم	إعناتكم
221	نساؤكم حرث لكم فاتوا...حرثكم أنى شئتم...	الإتيان
231	و إن أردتم أن تسترضعوا...أولادكم فلا جناح عليكم	غير الأم
252	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا... مما رزقناكم	شيئا
266	و لستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا... فيه	أبصاركم
281	أن تظل إحداهما فتذك إحداهما الأخرى ...	الشهادة

– قال تعالى :" الذين يومنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون "البقرة02، الفعل في قوله (رزقنا) يقتضي مفعولين، وقد حذف المفعول الثاني منهما هنا، وهو العائد على (ما)، و تقديره: (إياه)، أي : رزقناهموه أو رزقناهم إياه. وقد دل حذف المفعول هنا على عموم المعنى المقصود من الرزق فيشم بذلك كل ما يناله الإنسان من موجودات هذا العالم التي يسد بها ضروراته وحاجاته و ينال بها مآربه.

– قال تعالى: " وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم تنظرون"البقرة50، الفعل(اتخذ)، يتعدى إلى مفعولين – غالبا– و قد ذكـــــر في هذه الآية مفعول واحد، و حذف المفعول الثاني، و تقديره(إله)، أي: اتخذتم العجل إلها، و قد حذف المفعول الثاني هنا لعلم المخاطبين به، ولشناعة ذكره وتقديره معبودا، أو إلها[26].

– قال تعالى :" وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"البقرة 123، قوله : (ومن ذريتي) دال على مفعولين محذوفين مع فعلهما، تقدير الكلام : (اجعل فريقا من ذريتي إماما)، فـ(فريقا) مفعول أول محذوف، و(إماما) مفعول ثاني محذوف، طلبا للإيجاز والإقتصار على كلام المخاطب، دل عليهما قوله : (جاعلك للناس إماما).

– قال تعالى : "ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد"البقرة266[53]، الفعل (تغمضوا) متعدي، وقد حف مفعوله، وتقديره : أبصاركم، أي تغمضوا أبصاركم أو بصائركم.

وقد حذف المفعول في هذه المواضع لغرض إثبات المعنى في نفس الفاعل من غير اعتبار عمومه أو خصوصه، ولا اعتبار تعلقه بمن وقع. فكان الفعل المتعدي في الأمثلة بمنزلة اللازم، فلم يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الغرض هو الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول.

6- حذف جواب الشرط : ورد في سبة مواضع من السورة، نرصدها في الآتـــي :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
22	وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين...	افعلوا ذلك
90	قل فلم تقتلون أنبئاء الله إن كنتم مؤمنين...	
101	ولبيس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون...	لامتنعوا
164	ولو ترى الذين ظلموا ...إذ يرون العذاب	لعلموا أن القوة
169	أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا...و لا يهتدون	لتبعوهم
183	و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون...	فوائد الصوم

215	حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا....	فعل ذلك

– قال تعالى :" وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"البقرة22، قوله (إن كنتم صادقين) شرط جوابه محذوف تقديره (إن كنتم صادقين فافعلوا ذلك)، وقد دلنا عليه جملة مقدرة بعد جملة (وادعوا شهداءكم من دون الله)، إذ التقدير(فاتوا بسورة من مثله)، وتكون الجملة المقدرة دليلا على جواب الشرط، و تصير بذلك جملة (إن كنتم صادقين) تكرارا للتحدي[27].

– قال تعالى : "و إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نومن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبئاء الله من قبل إن كنتم مؤمنين"البقرة 90، قوله: (إن كنتم مؤمنين) شرط جوابه محذوف دل عليه ما تقدم من اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء، و هذا تأكيدا على كفرهم.

– قال تعالى :" و لو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب"البقرة164، قوله :

(ولو ترى) شرط جابه محذوف، وهذا أبلغ في الوعد والوعيد؛ لأن الموعود والمتوعد إذا عرف قدر النعمة والعقوبة وقف ذهنه مع ذلك المعيّن، وإذا لم يعـرف ذهب وهمه إلى ما هو أعلى من ذلك. وتقدير الجواب المحـذوف (لعلموا أن القوة) [28].

– قال تعالى : "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون"البقرة169، قوله : (لو كان) دال على جواب شرط محذوف تقديره (أفكانوا يتبعونهم أو لتبعوهم)، وقد حذف طلبا للإيجاز والاقتصار على المذكور.

7- **حذف أن الناصبة** : ورد في سبعة مواضع من السورة، خمسة منها بعد حتى التي تفيد الغاية، ونذكرها مشروحة في الآتي :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
34	ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين	فأن تكونا
54	وإذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى...نرى الله	حتى أن نرى
75	قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به	لأن يحاجوكم
78	ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا	لأن يشتروا
101	وما يعلمان من أحد حتى...يقولا إنما نحن فتنة	حتى أن يقولا
108	فاعفوا و اصفحوا حتى...يأتي الله بأمره	حتى أن يأتي
119	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى..تتبع ملتهم	حتى أن تتبع
166	وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم	فأن نتبرأ

– قال تعالى :" وإذ قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" البقرة 34، قوله : (فتكونا) فعل مضارع منصوب بـــ (أن) مضمرة وجوبا، دلتنا عليها فاء السببية والتي كان ما قبلها سببا فيما بعدها. وسبب الحذف هنا هو طلب الخفة في النطق، ووجود في الكلام ما يدل على المحذوف؛ فـــ (تكونا) جواب نهي، والتقدير: إن تقربا تكونا، وحذف النون هنا علامة النصب، لأن جواب النهي إذا اتصل بالفاء جاء منصوبا.

– قال تعالى : "و إذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" البقرة 54 قوله(نرى) فعل مضارع منصوب بـــ(أن)

مضمرة وجوبا بعد (حتى) التي تفيد انتهاء الغاية، و سبب الحذف هنا هو طلب الخفة في النطق، مع وجود في الكلام ما يدل على المحذوف.

- قال تعالى : "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا" البقرة 78، قوله : (ليشتروا) فعلف مضارع منصوب بـ (أن) مضمرة جوازا بعد لام التعليل طلبا للإيجاز في الكلام؛ و تقدير الكلام: (ليشتروا)، و لأن اللام في الحقيقة حرف جر يختص بالدخول على الأسماء.

8- حذف الكلام بجملته : مع وجود دليل عليه أو لعائد يعود عليه، وقد تكرر وروده في سبعة مواضع من السورة نرصدها في الآتي :

رقم الآية	موضع الحذف	التقدير
53	فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرلكم عند بارئكم...فتاب عليكم	ففعلتم
58	فبدل الذين ظلموا...قولا غير الذي قيل لهم	بالذي قيل لهم
133	تلك أمة لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون....	ولا يسألون عما كنتم تعملون
149	وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا. يكون للناس عليكم	فعلنا ذلك
164	و الذين آمنوا أشد حبا لله	من حب هؤلاء للأنداد
183	فمن كان منكم مريضا أوعلى سفر..فعدة من أيام أخر	فأفطر فعليه
237	فإن خفتم... فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله	فصلوا

- قال تعالى :" وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم" البقرة 53، قوله(فتاب عليكم) فقد عطفت الفاء على محذوف طلبا للإيجاز، و التقدير : ففعلتم فتلب عليكم.

- قال تعالى :" تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون" البقرة133، في الكلام حذف تقديره : (ولا يسـألون عما كنتم

تعملون) وقد دلنا على المحذوف الظاهر من الكلام قوله:"لها ما كسبت ولكم ما كسبتم".و الغرض من الحذف هنا هو الاكتفاء بقليل الكلام الدال على كثيره. - قال تعالى: "فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون" البقرة237، إن قوله : " فرجالا" في موضع حال من كلام محذوف تقديره : (فصلوا رجالا أو قوموا رجالا) ، طلبا للإيجاز والاكتفاء بالمذكور، وقد دلنا عليه قوله : "و قوموا لله قانتين" .

خلاصة : مما تقدم بيانه وتحليله يتبين لنا أن (الحذف) ظاهرة لغوية بارزة، تكرر ورودها في سورة البقرة بكل أشكاله وصوره المتعددة التي ذكرها النحويون واللغويون، كما هو الشأن عند ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب) وعبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، والحذف الذي خصه هذا البحث هو الحذف الذي يلزم النحوي، والذي لم يشكل لبسا أو إبهاما في المعنى بل زاده بيانا بلاغة، إذ كان في كل موضع من المواضع التي ورد فيها مرتبطا بقرائن لغوية يتضمنها السياق، إذ لا حذف بدون قرينة، و العرب لا تحذف شيئا إلاّ إذا تركت في الكلام ما يدل عليه. فحذف المبتدإ دلنا عليه قرينة الخبر المرفوع أو ما حل محله من جملة أو شبه جملة، وهو الذي اعتمدناه، والخبر المحذوف أيضا دلنا عليه المبتدأ الظاهر، وكذلك الموصوف المحذوف أيضا دلتنا عليه الصفة المذكورة، أوما نسب إليه، أو بالعكس دلنا السياق والموصوف المذكور على وصف محذوف ... و غيرها.

فالقرينة ضرورة أكيدة في مثل هذه المواضع التي تحتاج إلى إثبات المحذوف، وإلاّ فإنّ الحذف لا يؤدي أي معنى في التعبير، و بوجود هذه القرائن واختلافها خاصة من حيث الدلالة، يبقى النص مفتوحا على الدوام لقراءته، وهذا ما يكسبه حياة دائمة ما دامت زوايا تناوله متعددة بتعدد مقاصد دراسته.

كما نسجل تعدد الدلالات التي أدّاها الحذف في المواضع التي وقفنا عليها في السورة، وهي دلالات موافقة للمقامات، مؤدية لمقاصد الكلام، لا يهتدي إليها إلا بالعقل السليم، و الطبع المستقيم.

المراجـــــع :

(1)- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تح رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان،1982، ص 112.

(2)- سورة الأحزاب، الآية19.

(3)- سورة القرة : الآيـــة 47.

(4)- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح ح الفخوري، دار الجيل، بيرت لبنان،ج2، ص 260-263.

(5)- ابن جني : الخصائص، تح علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج2، ص 381.

(6)- ينظر ابن هشام : مغني اللبيب، ج2، ص324-394.

(7)- مصطفى المراغي : علوم البلاغة، دار القلم،بيروت لبنان،ص83.

(8)- الجرجاني : دلائل الإعجاز،ص131.

(9)- ابن هشام : مغني اللبيب، ج2،ص346 و ما بعدها.

(10)- ينظر مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم،بيروت لبنان،ص83.

(11)- ينظر ابن هشام : مغني اللبيب،ج2، ص342.

(12)- ينظر ابن مضاء الأندلسي: الرد على النحاة،ص

(13)- ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، ج1، ص313.

(14)- السكاكي: مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2000،1، ص266.

(15)- الفراء: معاني القرآن: ج1، ص17.

(16)- الزمخشري : الكشاف، ج1، ص70.

(17)- ينظر العكبري : إملاء ما من به الرحمان، ج1، ص68، و الزمخشري: الكشاف، ج1، ص100.

(18)- السكاكي : المفتاح، ص305 وما بعدها.

(19)ينظر العكبري: إملاء ما من به الرحمان، ج1، ص30.

(20)- البقرة، الآية 176.

(21)- البقرة، الآية 196.

(22)- ابن هشام : مغني اللبيب، ج2، ص353.

(23)- ينظر العكبري :إملاء ما من به الرحمان، ج1، ص36،و ابن عاشور: التحرير و التنوير، ج1، ص497.

(24)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص629.

(25)- المرجع السابق نفسه ،ج1، ص499.

(26)- ينظر المرجع السابق، ج1، ص341.

(27)- ينظر الزمخشري: الكشاف، ج1، ص104، و الفراء: معاني القرآن، ج1، ص97.